وتصديرا للكلام بالنداء في قوله تعالى يا آدم ا
للتنبيه على الاهتمام بتحقيق المأمور به وتخصيص هذا الخطاب به عليه السلام للإيذان بأصالته في مباشرة المأمور به
والسكنى من السكن وهو اللبث والإقامة والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة الموعود

والجن أيضا كانوا مأمورين بالتذلل لآدم والتوسل به علم أن الأصاغر أيضا مأمورون به والضمير في فسجدوا راجع
إلى القبيلين فكأنه قال فسجد المأمورون بالسجود إلا إبليس وأن من الملائكة من ليس بمعصوم وإن كان
الغالب فيهم العصمة كما أن من الإنس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا تخالف
الشياطين بالذات وإنما تخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الإنس والجن يشملهما وكان
إبليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضي الله عنه فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما أشار
إليه بقوله عز وجل إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور
والجن من نار لما روت عائشة رضي الله عنها أنه عليه السلام قال خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار
لأنه كالتمثيل لما ذكرت فإن المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير أن ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه
بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والإحراق فإذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الأولى
جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفي نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا أشبه بالصواب وأوفق للجمع بين النصوص
والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وأنه قد يفضي بصاحبه إلى الكفر والحث على الائتمار لأمره
وترك الخوض في سره وأن الأمر للوجوب وأن الذي علم الله من حاله أنه يتوفى على الكفر فهو كافر على الحقيقة إذ العبرة
بالخواتم وإن كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه وقلنا يا آدم
اسكن أنت وزوجك الجنة السكنى من السكون لأنها استقرار ولبث وأنت تأكيد أكد به المستكن ليصح العطف عليه
وإنما لم يخاطبهما أولا تنبيها على أنه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لأن اللام للعهد
ولا معهود غيرها ومن زعم أنها لم تخلق بعد قال إنه بستان كان بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقه
الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الإهباط على الانتقال منه إلى أرض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها
رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف حيث شئتما أي مكان من الجنة شئتما وسع الأمر عليهما إزاحة
للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين أشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه
الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة
في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على أن القرب من الشيء يورث داعية وميلا يأخذ بمجامع القلب
ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي أن لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة
أن يقعا فيه وجعله سببا لأن يكونا من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي أو بنقص حظهما بالإتيان
بما يخل بالكرامة والنعيم فإن الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي أو الجواب له والشجرة هي الحنطة
أو الكرمة أو التينة أو شجرة من أكل منها أحدث والأولى أن لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف
ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء فأزلهما الشيطان عنها أصدر
زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظير عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن أمري أو أزلهما عن الجنة

بمعنى

قال ابن عباس كان إبليس من الملائكة بدليل استثنائه منهم وقيل إنه من الجن لأنه خلق من النار ولأنه والملائكة خلقوا من نور ولأنه أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس والأول أصح لأن الخطاب مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم الخازن

به المستكن عليه أبو السعود

بمعنى أذهبهما ويعضده قراءة حمزة فأزالهما وهما متقاربان في المعنى غير أن أزل يقتضي عثرة مع الزوال وإزلاله
قوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو
تكونا من الخالدين ومقاسمته إياهما بقوله إني لكما لمن الناصحين واختلف في أنه تمثل لهما فقاولهما بذلك
أو ألقاه إليهما على طريق الوسوسة وأنه كيف توصل إلى إزلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فإنك رجيم فقيل
إنه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع أن يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء
وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى
دخلت به وقيل أرسل بعض أتباعه فأزلهما والعلم عند الله فأخرجهما مما كانا فيه من الكرامة والنعيم وقلنا
اهبطوا خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لأنهما أصلا الإنس فكأنهما الجنس كلهم
أو هما وإبليس أخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة أو دخلها مسارقة أو من السماء بعضكم لبعض
عدو حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الأرض
مستقر موضع استقرار أو استقرار ومتاع تمتع إلى حين يريد به وقت الموت أو القيامة فتلقى آدم من ربه
كلمات استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على أنها استقبلته
وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله
إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وعن ابن عباس رضي الله عنه قال يا رب ألم تخلقني بيدك
قال بلى قال يا رب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب ألم تسكني في جنتك قال بلى قال يا رب إني
تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة قال نعم وأصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك بإحدى الحاستين السمع
كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وإنما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه
معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على أن لا يعود إليه واكتفى بذكر آدم لأن حواء
كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنن إنه هو التواب الرحيم
الرجاع على عباده بالمغفرة أو الذي يكثر إعانتهم على التوبة وأصل التوبة الرجوع فإذا وصف به العبد كان
رجوعا عن المعصية وإذا وصف به الباري تعالى أريد به الرجوع عن العقوبة إلى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة
وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالإحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتأكيد أو لاختلاف
المقصود فإن الأول دل على أن هبوطهم إلى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني أشعر بأنهم
أهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك أو للتنبيه على أن مخافة الإهباط المقترن بأحد هذين
الأمرين وحدها كافية للحازم أن يعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم
نجد له عزما وأن كل واحد منهما كفى به نكالا لمن أراد أن يذكر وقيل الأول من الجنة إلى السماء الدنيا والثاني
منها إلى الأرض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تأكيد في المعنى كأنه قيل اهبطوا أنتم أجمعون

قال يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك
قال بلى صح

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)